تفنيد المزاعم

صورتان متضادتان لعقيدة الإسلام ورسالته

(ردا على ما كتبه كريغ وين بعنوان: محمد رسول الهلاك)

الدكتور / صلاح الدين الندوي، الأزهري

ملخص:

إن هذا العصر عصر العولمة، الذى بدأ بنهاية الشيوعية في قلعتها: (الاتحاد السوفيتى) و بسقوط جدار (برلين) و توحيد شطري ألمانيا الشرقية والغربية، ثم بنهاية حلف (وارسو) من صفحة الوجود، وبقاء الحلف الأطلسي كقوة عسكرية عظمى من بين القوتين العظيمتين في العالم. فبعد انفصام عرى الاتحاد السوفيتى السابق لم يبق للحلف الأطلسي – في نظره – عدو سوى الإسلام، لأن الإسلام هو وحده قادر على أن يقف في طريق فرض سيطرة هذا الحلف، و قبضته الحديدية على العالم كله، خاصة الدول الإفريقية، ودول الشرق الأوسط والأدنى من آسيا.

ولا ريب أن النظام العالمي قد اختل بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، و أصبحت دول العالم الثالث الضعيفة ذات السيادة في العالم في خطر، لأن النوايا الاستعمارية للحلف الأطلسي المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية المتحالفة باعتبارها القوة العظمى في العالم – كانت ولا تزال واضحة في بسط سيطرتها للاستيلاء على آراضي الدول الصغيرة – دول العالم الثالث. وبالتالي بدأت تشعر الدول الإسلامية بأنها وقعت فريسة في كما شة الاستعمار الأجنبي مرة أخرى. فالولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الغربية جنبها، وخاصة بريطانيا وألمانيا و فرنسا تتحارب الآن مع الإسلام في كل مكان، وذلك لفرض نظام مادي عالمي جديد يعرف باسم العولمة: (Globalization)وهى أصلا الأمركة: (Americanization) وكان من المعلوم أن الدول الإسلامية لن تستسلم بسهولة،

باعتبارها العدو الوحيد الذي يمكن أن تصمد وتقف ضد سياسات الغرب العدوانية ضد الدول والشعوب الضعيفة. فكانت الوسيلة الوحيدة استخدام القوة ضد الحق والعدل، والقهر الدعائي والإعلامي، والغز والفكري ضد الإسلام و كتابه الكريم، و نبيه العربي ـ ﷺ ـ عن طريق استئجار عقول بعض المثقفين المسلمين الذين تثقفوا ثقافة غربية، والذين باعوا ضمائرهم بثمن رخيص، لينشروا على ألسنتهم أفكارا تمهد لقبول الانسلاخ من الإسلام أو لتكون جماعات المسلمين الفقراء والبؤساء فرائس لمحاولات التنصير المخططة، كما يحدث في إندونيسيا وهي دولة إسلامية ذات أغلبية مسلمة. فتصاعد في الفترة الأخيرة الهجوم على الإسلام، وتواصل الافتراء عليه في حملات إعلامية و ثقافية متتابعة، تكيل التهم ضده، و تشوه مقاصده العظمية، ومبادئه الإنسانية، و تطعن في كتابه الكريم، و تسيء إلى حامل رسالته نبينا محمد ﷺ ، و تعبث بسيرته وسنته الشريفة العطرة، و تشوه دعوته لتنفير الناس منها، وصرفهم عن الإسلام، الذي اختاره الله سبحانه و تعالى دينا خاتما للناس: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا و نذيرا ـ سبا:٢٨) و (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ـ الأنبياء: ١٠٧) وقد تمادى هؤلاء في محاولة يائسة لصرف المسلمين عن القرآن الكريم بخاصة، فأكثروا الافتراء على سوره و آياته، وتجنوا على الكثير من أحكامه، و قدموا تفسيرات ظالمة مغايرة لمقاصده، وزادت جرأة أهل الباطل بافتراء كتاب جديد للمسلمين سموه (الفرقان الحق) ألفته إحدى اللجان المتخصصة في عداء الإسلام والمسلمين، من اثنى عشر جزء ا، ليكون ـ حسب زعمهم ـ بديلا للقرآن الكريم، وكتابا مقدسا للمسلمين في عصر العولمة.

والحرب الدائرة في افغانستان ثم في العراق، هي ليست أصلا بين الإسلام والديانات الأخرى: اليهودية والنصرانية في العالم، وإنما هي شنت من أجل بسط السيطرة والنفوذ، فهى ضد كل دين، وخاصة هي الحرب بين روحانية الشرق: (الديانات) و علمانية العولمة (مادية الغرب) التي تقودها أمريكا بالتعاون مع دول السوق الأوربية واليابان، وهي حرب شنت من أجل نشر الإلحاد واللادينية في الشرق، وخاصة هي موجهة ضد الإسلام، لأن

الإسلام هو الذي يستطيع أن يواجه هذه العاصفه (الأمركة) للاستعمار الأمريكي، وسياساته العدوانية ضد الدول والشعوب الضعيفة الآن ـ كما هو المطلوب ـ

ومن تلك الحملات العدائية ضد الإسلام صدر في الولايات المتحدة الأمريكية كتاب جديد عن دار نشر (كريكيت صونغ) عنوانه: (محمد رسول الهلاك: عقيدة الإسلام الإرهابية وفقا لكلمات محمد نفسه) ألف هذا الكتاب شخص اسمه (كريغ وين) بهدف الإساءة إلى الإسلام والمسلمين جميعا، هذا الكتاب يمثل ذروة العداء المتزايد ضد الدين الإسلامي الحنيف في بعض الأوساط المسيحية الأمريكية المتعصبة، و ذكر المؤلف في كتابه بعض كتب المراجع العربية مثل كتاب السيرة لابن إسحاق، والصحيح للبخاري، و تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، و تظاهر بذكر بعض الآيات الكريمة من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة بأنه درس (عقيدة الإسلام و رسالته). وباستخدام بعض النصوص منها وصف الإسلام بكل النقائص منها: الشر والزيف والإرهاب والسرقة و سفك الدماء والخداع والتلفيق، حتى الإله المعبود الذى هو وحده لا شريك له، جدير بأن يعبد ، وصفه بصفات لا تليق بشأنه جل جلاله.

فبذكر هذه الأسماء للكتب العربية لا يستطيع المؤلف أن يخدع أهل العلم بأنه قد درسها حقا، لأنهم يعلمون جيدا ما بداخل هذه الكتب القيمة، لأن المسلمين و غير المسلمين أيضا يعلمون علم اليقين أن النبي ﷺ نزل من (حراء) من جبال مكة بتنزيل إلهي من حكيم حميد، و جاء لإصلاح أمته، و هذا الكتاب لا ريب فيه، هدى للمتقين، فوق كل الشبهات في آياته البينات، ولم يحدث فيه أي تغيير ولا تبديل ولا تحريف طوال هذه القرون التي خلت من تاريخ الإسلام المشرق.

والموضوعات التي تناولها المؤلف في كتابه لا تختلف عما تناوله المستشرقون الذين سبقوه، وهي كلها تدور حول الوحي والنبوة والرسالة وبشرية القرآن الكريم، ثم الموضوعات الأخرى تندرج بالتالي في الحوار والمناقشة، إلا أن المؤلف قد تجاوز حده وانحرف في موقفه من الصفات الإلهية، حين طبقها على صفات الشيطان التي ذكرت في

الأناجيل المحرفة.فنحن سنقف عند هذه النقطة على وجه التحديد، وسنتناولها بشيء من التفصيل ـ إن شاء الله ـ بعد قليل ـ

صورتان متضادتان لعقيدة الإسلام ورسالته

لا شك في أن المسلمين يؤمنون بأن هذا الكتاب الذي جاء به محمد ﷺ وحي من الله سبحانه و تعالى، فهذا الكلام لله ذاتي، لأنه من إنشائه سبحانه و تعالى، والأناجيل المقدسة عند النصارى و المحرفة عندنا، هي ليست من إنشائه سبحانه و تعالى، وإنما هي من وضع الأحبار.

والمسلمون يعلمون جيدا ماذا يقول هذا المفتري؟ ولماذا يقول؟ ومن أين يقول؟ في الواقع إنه لم يدرس هذه الكتب الإسلامية التي أشار إليها على وجه الإطلاق، و إنما درس ما كتبه المستشرقون المتعصبون عن الإسلام، والنبي العربي ﷺ ، والقرآن الكريم باللغات الأجنبية سابقا، كما أنه لم يدرسها بالعربية، ولا يستبعد أنه درس بعض هذه الموضوعات من الإسلام المترجم في الغرب، الذي ترجم حسب أهواء المترجمين الموالين للغرب، ومعلوم أن الترجمة ـ مهما كانت أمينة و دقيقة ـ غدر و خيانة للأصل المترجم عنه في مجال البحوث العلمية. وقد يكون لمن يشك أو بالأحرى لليهود والنصارى أو لغير المسلمين أن يوجه الطعن في صحة نسبة هذا الكتاب (القرآن المجيد) إلى الله سبحانه و تعالى. ولكنه إذا أراد أن يدرس عقيدة الإسلام ورسالة نبيه ﷺ، فعليه أن يرجع إلى هذا الكتاب ليطالع تلك الموضوعات التي يريد أن يبحث فيها. و إذا كان الباحث من غير المسلمين، فعليه أن يفرق بين اعتقاداته واعتقادات المسلمين، فإن أراد أن يبحث عن عقيدة المسلمين، فعليه أن يبحث في ضوء معتقداتهم، لا في ظل توهماته هو.

فنحن نجد هذه الظاهرة عند المستشرقين عامة، وفي جميع الموضوعات التي تناولوها بالبحث والدراسة، فهولاء لا يدرسون الإسلام من وجهة نظر المسلمين، وإنما يستخدمون نظارة العداء السوداء للإسلام و المسلمين أولا، ثم يدرسونه، و يعرضون وجهات نظرهم كأنها وجهات نظر المسلمين ، ثم يستنبطون استنتاجات خاطئة.

ثم هؤلاء يعتمدون على القرآن الكريم وحده في إثبات دعاويهم أو إنكار الحقائق، وهم لا يؤمنون به بوصفهم مسيحيين، فكيف يعتمدون على مرجع لا يثقون بصحته؟

ولذلك يظن الكاتب (وين) أن الهجوم على الإسلام بلسان علماء المسلمين هو أفضل طريقة لتضليل المسلمين و إبعادهم عن دينهم، و هدفه من استخدام أسماء بعض المصادر والمراجع مثل القرآن الكريم، وكتاب السيرة لابن إسحاق ، و تاريخ الطبري، وصحيح البخاري هو أن يثق المسلمون بما يقوله الكاتب الضال (وين) في بحثه المضل.

وهنا يجد الباحث نفسه في موقف التأمل من حيث أن المؤلف لم يقرأ كتاب ابن إسحاق ولا تاريخ الطبرى، ولكن لماذا اختار شخصية هذين الرجلين العظيمين على وجه التحديد، رغم أن هناك مئات من الكتب في السيرة النبوية، و تاريخ الإسلام كتبها كثير من المفكرين المسلمين وغيرهم من المستشرقين أيضا؟ فلماذا لم يعتمد على كتب أساتذته المستشرقين؟ فهذا يظهر الخبث في نيته بشكل واضح. وأنه في الواقع درس آراء المستشرقين، إلا أنه لا يريد أن يفصح، ويعترف بحقيقة هذا الأمر، لأن الهدف من تأليف هذا الكتاب المضل هو أن يقرأ المسلمون كتابه هذا، وهو يعلم تماما أن المسلمين لا يسمعون كلام المستشرقين أبدا، لأن آراء هم في الإسلام ورسالته معلومة، وهي تلك التي دحضها علماء المسلمين بالبراهين القاطعةحين ظهورها كل مرة. فلا جديد فيما جاء به.

ثم يجب أن لا ننسى من كان ابن إسحاق؟ وما هي أهمية كتابه في (السيرة النبوية) فشخصيته جديرة بأن تدرس، وكذلك شخصية ابن جرير الطبري أيضا جديرة بأن تدرس لمعرفة لماذا اختارهما المؤلف دون غيرهما من المؤرخين و أصحاب كتب السير بالتحديد.

اهتم المستشرقون بكتاب ابن إسحاق باعتباره أول مرجع في السيرة، ثم باعتباره أنه هو الذي كشف أوراق أحبار اليهود، وكشف عن إسلام عبدالله بن سلام، و مخيريق اللذين كانا من علماء اليهود، وكانا يعرفان رسول الله ﷺ بصفاته التي بشرت بها التوراة، والرسول ﷺ يقول: " مخيريق خير يهود" وحين أخبر ابن إسحاق أن طائفة من أحبار اليهود شهدت على نبوة محمد ﷺ ، وذكر أيضا أن طائفة من علماء النصارى قدموا مكة و

سمعوا من رسول الله ﷺ و صدقوه بما قال " فشخصية ابن إسحاق لها في كتابه جاذبية لليهود والنصارى، ولكنهم لا يستطيعون تكذيب كل ماجاء به ابن إسحاق من وثائق في شأن إسلام أحبار اليهود والبشارة بالنبي ﷺ في الإنجيل. فقد وردت صفاته ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ التي عرفها علماء النصارى من وفد نجران وغيرهم ممن لم يحجبهم عن رؤية الحق تعصب ذميم أو تقليد أعمى أو هوى متبع. (١)

وكذلك شخصية أبي جعفر بن جرير الطبري المحدث، الفقية والمؤرخ المعروف الذي اشتهر بكتابيه: (تاريخ الأمم والملوك) الذي يعتبر أهم مراجع التاريخ الإسلامي، و (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ولد بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ . كان كثير الحفظ، مستوعبا لعلوم القرآن واللغة، عارفا بأيام الناس وأخبارهم، وجمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل زمانه. (٢)

وحقا هناك جاذبية في شخصية الإمام أبي جعفر الطبري للمستشرقين من اليهود والنصارى، لأنه هو أوثق من هؤلاء الذين كشفوا أوراق اليهود والنصارى، وتلاعباتهم بالتوراة والإنجيل، حيث تناول شهادة أهل الكتاب على نبوة محمد ﷺ ، وفسر الآية: (الذين آتيناهم الكتاب) بالتوراة والإنجيل، و (يعرفونه كما يعرفون أبناء هم) بأن اليهود والنصارى يعرفون أن محمدا نبي مبعوث كما يعرفون أبناء هم. (٣) فالمستشرقون من اليهود والنصارى يهتمون بدراسة أقواله في تفسير الآيات القرآنية وخاصة ما يتعلق بهم، و بكتبهم المقدسة.

والموضوعات التيتناولها المؤلف (وين) في كتابه (في أكثر من سبعمائة صفحة) يبدومن دراستها أنها فوق طاقته، ولا غرابة في أنه ألف هذا الكتاب باستيحاء من بعض

---

(١) معركة النبوة مع المشركين من تأليف الدكتور إبراهيم زيد الكيلانى ص:(٧٤،٧٣) مكتبة الأقصى عمان ـ الأردن.

(٢) من حضارة المسلمين /د. أحمد مجاهد مصباح أستاذ التاريخ والحضارة ص:٨١ بجامعة الأزهر بالقاهرة.

(٣)الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج:١٦ ص:٣٠٣.

الباحثين أو المتخصصين الذين باعوا ضمائرهم بثمن رخيص، فهذا لا يهمنا هنا سوى أن هذه الموضوعات لم تدرس منهجيا، لأن كل موضوع منها يحتاج إلى دراسة موضوعية وعلمية دقيقة، و صفحات الكتاب خالية من هذا النوع من الدراسة المنهجية والأمانة العلمية. ولذلك نراه يعرض عن الحق، ويصر على الباطل، فليس السؤال إذن: هل أنه درس هذه الكتب العربية؟ أو درسها في لغتها الأصلية؟ وهى العربية، أو درس ترجمتها بالإنجليزية أو بغيرها؟ السؤال هو: ما الذي دفعه ليلجأ إلى كتمان الحقائق العلمية؟ وكل من له الإلمام بتاريخ الإسلام يعلم جيدا أن الإسلام يواجه مثل هذه التحديات منذ البداية، وهذه هي العادة عند المستشرقين عامة هم يتناولون موضوعات شتى في مقال واحد بدون دراسة دقيقة، و يتظاهرون بعبقريتهم العلمية في بيئتهم، رغم أنها دائما تكون سطحية خالية من الدراسة الموضوعية والمنهجية المطلوبة، وبعيدة عن الأمانة العلمية التي يثق بها القارى، والتي يجب أن ننظر إليها بعين الاعتبار في مجال البحوث العلمية.

في الواقع لا يوجد فكر جديد في محتويات هذا الكتاب ـ كما قلنا ـ وإنما هي عبارة عن تلك المحاولات المتواصلة الفاشلة للنيل من القيم الإسلامية السامية التي نسمع صداها حينا بعد حين، وهي تلك النغمات الإستعمارية القديمة التي يعاد استخدام أسطواناتها من قبل المستعمرين المحتلين الذين كانوا يحتلون، ولا تزال في قلوبهم نوايا استعمار الدول العربية والإسلامية في الشرق بحيلة ومكر ـ كما هو معروف من دهاء اليهود عادة ـ والذين نسمع من ألسنتهم دروس حقوق الإنسان المزيفة والمساواة المزدوجة والعدالة المنحازة والديموقراطية الفوضوية من منابر منظمة الأمم المتحدة، وهم في الواقع يمتصون دماء الأبرياء وينهشون لحوم الشعوب الضعيفة في جميع أنحاء العالم، وخاصة في المشارق، هم يتجاهلون القوانين الدولية، ومحاولا تهم مستمرة لإبادة البشرية وخاصة الشعوب الضعيفة التي تبكي دما من جرائمهم البشعة المروعة التي أنهكت الشرق المسلم كله. وهم يعلمون علم اليقين من هو الإرهابى الأكبر؟ ولكن ظاهرهم يختلف عن باطنهم حين يقولون إن الإرهاب نابع من الدين الإسلامي يعنى القرآن الكريم.

نحن لا نجد عند مؤلف هذا الكتاب المضل أي شيء إيجابي في خانة الإيجابيات للإسلام، وهذا ليس من الإنصاف أبدا، لأن الخير والشر كلاهما يتواجدان جنبا إلى جنب في دنيا الإنسان، ومن باب الإنصاف يجب ألا ينسى هذه القاعدة (وليست إساء ة من أساء في الكثير وأحسن في القليل مسقطة إحسانه، ولو كثرت إساء ته أيضا، ثم أحسن لم يقل له عند الإحسان أسأت ولا عند الصواب أخطأت).

كما لا نجد في هذا الكتاب سوى هذه الكلمات المهملة: أن الإسلام هو الإرهاب ومحمد إرهابي والمسلمون كلهم إرهابيون، والجهاد هو الإرهاب، فهذا الدين باطل، هذه الكلمات ليست أكثر من هذيان شخص، وراء ها هو الخوف والفزع الدفين في قلوب المستعمرين من كلمة الجهاد، حقا إن الجهاد في الإسلام حق مشروع، وهو حقا عبارة عن الحرب ضد الأشرار والمفسدين في الأرض والمقاتلة مع أصحاب الشرائع المحرفة الباطلة. هم يخوفون الناس من كلمة الجهاد، مع أن الناس يعلمون تماما أن الجهاد ليس لقتل الأبرياء من غير حق، و يعلمون أيضا ماذا فعل هؤلاء المجرمون في أفغانستان والعراق، وخاصة بعد ما حدث ما حدث في مدينة نيويارك و وزارة الدفاع الأمريكية (بنتاجون) و أما الدول الإسلامية الأخرى التي هي لا تزال باقية على قائمة الإرهاب عند هؤلاء المفسدين، هي أيضا تنتظر دورها لهجمات هؤلاء المجرمين التدميرية.

ورغم أن هذا الكتاب ليس منهجيا ودراسة صاحبه فيه ليست دراسة موضوعية، حيث نرى فيه انحرافا عن الأساليب العلمية المعروفة عند المستشرقين النزهاء والمتعصبين الذين سبقوه، وذلك على الرغم من أنه استقى من كتاباتهم عن الإسلام. نحن نحاول أن نتناول بعض الموضوعات الأساسية منها لرفع الستار عن بعض الحقائق العلمية التي هي بمثابة مرآة، لعله سيرى فيها مصير جهده الضائع.

والموضوعات التي تناولها المؤلف الأمريكي في كتابه هي أصلا تنحصر فيما يلى:

١ – إن إله الإسلام (الله) بذاته يحمل تلك الصفات التى ذكرت للشيطان في

الأناجيل المقدسة.

٢ – النبي محمد (ﷺ) أكبر إرهابي ومن يتبعه إرهابي أيضا.

٣ – والكتاب الذي جاء به (القرآن الكريم) هو منبع كل إرهاب عنده.

فالموضوع الأول لا يحتاج إلى الرد، لأن إلهنا وإله غيرنا ليس سوى الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، و ذاته و صفاته أزلية لم تتغير ولن تتغير أبدا، وأما ما يتعلق بالنبوة والرسالة لنبينا ﷺ، فسنرد عليه بشئ من التحليل والتفصيل ـ إن شاء الله ـ

قلنا إن المؤلف لم يقرأ تلك الكتب العربية التي أشار إليها باعتبارهاكتب المراجع والمصادر لدراسة الإسلام. فلا عجب إذا قال: " إن الإسلام لا يكون له وجود بدون كتاب ابن إسحاق"، فالسؤال الآن هو: هل القرآن الكريم أولا؟ أو سيرة ابن اسحاق أولا؟ كما قال: إن ابن إسحاق ألف كتابه بعد قرن من الزمان من وفاة النبي (ﷺ) ثم أهذه الآية (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) نزلت في أن يخلد القرآن، أو يخلد كتاب ابن إسحاق، إن القرآن الكريم عاش في قلوب المؤمنين في عهدالنبي الكريم ﷺ ولا يزال يعيش في قلوب ألوف من الحفاظ المسلمين في كل دولة إسلامية. وكثير من هؤلاء الحفاظ لا يعلمون كتاب ابن إسحاق في السيرة. وهذه الحقيقة مجهولة عنده، ولكنها لم تكن مجهولة عند ابن إسحاق، و معنى ذلك أنه لم يدرس كتاب ابن إسحاق ولا القرآن الكريم.

وحين يقرأ القارئ هذا المقال: **(صورتان متضادتان لعقيدة الإسلام و رسالته)** يعلم علم اليقين أن الإسلام دين تأليف القلوب، وألفة النفوس وليس ليخدع الناس و يسلب ممتلكاتهم بمكر و خداع، و يستعبد النساء والأطفال، و يرتكب جرائم القتل والإبادة والتعذيب كما يتوهم المؤلف (وين) أو كما ترتكبها الدول العظمى القوية.

وسيطلع على أن النبي ﷺ كان محسنا للإنسانية جمعاء، أرسله الله رحمة للعالمين، و بعثه ليتمم مكارم الأخلاق، فلا يتوهم أنه (ﷺ) كان رسول الهلاك. إلا أن المستشرقين

(٤) نقد العقل الديني لمحمد أركون ص: ١٦١ ـ ١٦٥ دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٨م.

وأعداء الإسلام عادة يضعون الإسلام و نبينا محمدا ﷺ في قفص الاتهام بما ذكر في التشريع الإسلامي عن الجهاد أو الحرب المقدسة، فعلينا أن نعلم أولا ما هو الجهاد.

أ. الجهاد الإسلامي أو الحرب المقدسة

ويحسن بنا أن نذكر هنا خلفية موجزة عن حقيقة الجهاد المشروع عند المسلمين، والحرب ضد الإسلام عند المستعمرين. الجهاد المشروع و ارد في الحديث النبوي. و محاربة سنة رسول الله ﷺ المطهرة من قبل المستشرقين ـ باعتبارها مصدرا مهما في التشريع الإسلامي ـ ليست أمرا غريبا، إذ بإبعاد السنة النبوية والتشكيك في مكانتها في التشريع يصبح التلاعب بالقرآن الكريم أمرا ميسورا.

فقام الاستعمار من جهة باستخدام طبقة من المرتزقة من منكري الأحاديث النبوية، وهذه الطبقة أنكرت في البداية أحاديث الجهاد بالسيف، ثم أنكرت السنة النبوية بكاملها.

إن الجهاد معناه: الكفاح من أجل الحرية والحق، والبقاء بالأصالة، والعيش بالكرامة. هذا اللفظ مشتق من الجهد وهو الكفاح من أجل الحياة والحرية، وإذا استخدمت كلمة (الجهاد بالسيف) فمعناها (حمل السلاح ضد الظلم لاسترداد الحقوق المغصوبة أو شن الحرب لحماية حقوق الشعوب الضعيفة، وإنقاذها من سطوة الأقوياء الظالمين) لأن الله خلقنا أحرارا، فكل إنسان له حق أن يعيش بحريته، و يتنفس في مجتمع تكون فيه الحرية مكفولة للجميع، لأن الحرية حق كل إنسان بالطبع. ولا يمكن أن يحرم أحد من ممارسة هذا الحق، كما لا يستطيع المرؤ أن يعيش من غير هذا الحق، لأن الموت أهون من عبودية الغير، ولأن الحرية هي الوجود، ولا وجود لسواها، إلا أن الدنيا عبارة عن الظالم والمظلوم منذ فجر التاريخ، ولذلك وضعت المجتمعات البشرية نظاما للمحاكم، لرفع التظلم، وإقامة العدالة، وذلك بعد أن عاشت قرونا طويلة في الحروب، و معلوم كم قرون مضت والإنسانية لاتزال تتأدب و تتثقف، ورغم ذلك المجتمعات البشرية المعاصرة لا تخلو من وجود ظالم و مظلوم، لأن

الإنسان القوي بطبعه يظلم الضعيف، كما يقول الشاعر:

الظلم من شيم النفوس، فإن تجد...ذا عفة، فلعلة لا يظلم

حتى نرى في تكوين مجتمعنا المتحضر أيضا هذه العناصر الاجتماعية الثلاثة: الظالم والمظلوم ثم المحاكم. إن الأمم والشعوب الإسلامية تسمي الحرب ضد الظلم بالجهاد المقدس، التي تشن من أجل استراد حقوق الناس الضعفاء المظلومين، ومن أجل حقوق الإنسان في العيش بالكرامة، ولكن الحرب التي تشنها الولايات المتحدة الأمريكية في كل مكان، هي أصلا من أجل تدمير الشعوب والدول الإسلامية الضعيفة، لتصفية الحسابات القديمة، فلا يوجد فرق أصلا بين الحرب ضد الإرهاب (أو الإسلام كما يقولون) من موقع القوة، والجهاد المقدس للنجاة من سطوة الأقوياء الظالمين من موقع الضعف (كما نقول نحن المسلمون). والفرق بينهما معنوي، لأن الحرب من موقع القوة، لها علاقة بالمادة، والجهاد هوالروح المعنوية لحياة الشعوب الضعيفة، فالمادة تنتهي، وإنما الروح المعنوية تبقى و تدوم.

فقد أصدر أحد الباحثين الأمريكيين في العلوم السياسية منذ فترة قصيرة كتابا تحدث فيه عن مفهوم **الجهاد فى القرآن والإسلام**. نرى فيه أنه يعتبر أن العنف الذى يمزق حاليا عدداً كبيراً من المجتمعات الإسلامية ليس عن أزمات داخلية حادة فحسب، وإنما يعبر أيضا عن رد فعل هذه المجتمعات ضد ظاهرة العولمة التي تحمل فى طياتها الهيمنة الغربية. و يرى أن الاحتجاجات العنيفة ضد هذه الظاهرة ليست محصورة بالمجتمعات الإسلامية، وإنما هي مشتركة لدى جميع المجتمعات البشرية بما فيها المجتمعات الغربية. إنه رد فعل ضد القوى العمياء والكاسحة للعولمة.

(يتبع)

☆☆☆